الإحتواء Containment .. المفهوم الأهم لدعم الأطفال ذوي التوحد

ياسر الفهد – والد شاب توحدي
المملكة العربية السعودية

كثيراً ما نسمع عن كلمة الإحتواء ، ولكن ما معنى الإحتواء؟ ومن الذي يقدم الإحتواء؟ ولمن يقدم الإحتواء؟ وهل الإحتواء معم للتعامل مع ذوي التوحد؟ كثير من التساؤلات دعتني إلى كتابة هذه الأسطر القليلة والتي أرجوا من اللّه أن تكون عوناً ونوراً لأسر الأطفال ذوي التوحد.

معنى كلمة الإحتواء وفق **"علم النفس التحليلي"** هو الطريقة التي يستوعب فيها أحدنا الطرف الآخر ويشمله ويهتم به وبمشاعره بشكل يغطي جوانب حياته ، أي هو تمام كالوعاء الكبير الذي يحتوى الوعاء الصغير . (سمير رضوان ، 16 أبريل 2018)

وبالنسبة لذوي التوحد : فإن الإحتواء هو خلق بيئة محيطة حول ذوي التوحد تعطيهم شعوراً بالأمن والأمان. وبإعتقادي أن القلق والتوتر منتشر في حالات التوحد هما السبب الرئيس للصعوبات التي تواجه الأطفال ذوي التوحد.

الإحتواء هو طريقة توفير بيئة محيطة تتوافق مع توقعات ذوي التوحد واحتياجاتهم بحيث يمكنهم الشعور بالأمان والحماية من الفرط الحسي المستمر ، وأيضاً من المخاطر التي قد تباغتهم فجأة ومن مخاطر المشاعر الاعتباطية السلبية والتي قد لا تكون ضمن حسبانهم ولكنها مدمرة بالنسبة لأطفال ذوي التوحد.

متى ما تخَلَّص هؤلاء الأطفال ذوي التوحد من تلك العوامل المزعزعة للإستقرار بالنسبة لهم وتم احتوائهم في بيئة تشعرهم بالأمان فإنه ستكون لهم فرصة حقيقية لإستجماع قواهم والتركيز على تنمية الإدراك cognitive والاجتماعية social والمشاعر feeling والتى عادة ماتكون مستحيلة عندما تداهمهم الاستثارات الحسية المفرطة والتي تؤثر على توازنهم بسهولة ، لذلك فإن الأطفال ذوي التوحد بحاجة إلى توجيه كافة قدراتهم للتعامل مع تلك الاستثارات الحسية بدلاً من التركيز على رشدهم.

الإحتوء .. لمن؟

بينما الإحتواء يعتبر مهماً للعمل مع أطفالنا ذوي التوحد إلا أنه أيضاً مهماً للجميع. إذا شعرنا بالخوف أو عدم التقدير أو السلبية فإننا جميعاً لا نستطيع أن نقدم أفضل ما لدينا للعناية بالطفل ذوي التوحد.

وعادة فإن عملية الاحتواء يقوم بها شخصين : **الشخص المحتوي والشخص المحتوى.** هذه العملية ليست خاصة فقط بالأم والطفل بل هي مستمرة خلال حياة الانسان، وتظهر بشكل خاص عند حاجة الانسان لشخص آخر ليساعده في ضائقة يمر بها في لحظة معينة. في هذه اللحظة تقع مسؤولية أكبر على الشخص المحتوي ، الذي يتوقع منه بالإضافة إلى قدرته على الهدوء والتعاطف، أن يحافظ على رباطة جأشه مع رسم حدود واضحة لا يسمح بها للشخص المحتوى أن يؤذيه. (بسمة : 11 / 1 / 2015)

وبما أن القلق والتوتر فطري ومتأصل وسائد في التوحد ، فإن احتواء الفرد ذوي التوحد يعتبر أثمن وأفضل ما يمكننا القيام به لتمكين لذوي التوحد. ولكن لا ننسى أيضاً أن الشخص المُحتوي لذوي التوحد بحاجة إلى أن يُقدَّم له الإحتواء أيضاً لكي يقوم بالمهمة على أكمل وجه.

أحد أوجه الإحتواء على سبيل المثال : عندما تأتي الأسرة إلى مركز التربية الخاصة أو الجهات المقدمة للرعاية فإن على مقدمي الرعاية المبادرة وتقديم الترحيب الحار للأسرة والتعاطف معهم والتأكد من أن الأسرة تشعر بالراحة والاطمئنان في ذلك المركز أو المكان ، وأيضاً في حال التحاق ذوي التوحد بالمركز فيمكن أن يخصص لهم وقتاً لزيارة أبنائهم أثناء تقديم البرنامج العلاجي ومشاركتهم مما يُشعر الأسرة بالإحتواء لطفلهم ولهم وأن الجميع هنا في رعايتهم.

نحن أيضاً بحاجة إلى أن نقدم الإحتواء لبعضنا البعض والإحترام عندما نجتمع في مجموعات ، ونتبادل ما تعلمناه من خبرات وإعطاء بعضنا البعض جرعة أمل إيجابية. وكأولياء أمور نحن بحاجة إلى التنفيس عن أنفسنا وإخراج الضغط المترتب علينا.

ومن الجانب الأسري أشارت إحدى الدراسات الأوروبية بأن نسبة الطلاق في حال وجود طفل معاق لدى الأسرة تتراوح ما بين 50 – 70 % . لذلك يجب المحافظة على الأسرة من قبل رب الأسرة خصوصاً في ظل وجود طفل أو طفلة من ذوي التوحد والحرص على توفير كافة أنواع الإحتواء للزوجة والأبناء وتوفير الحب والتقدير والرعاية والأمن والأمان لهم لكي تستمر الحياة في ظل تلك الضغوطات الكبيرة التي تواجهها في التعامل مع الطفل ذوي التوحد ومتطلباته في الحياة. والتي ستنعكس إيجاياً على التعامل مع الطفل ذوي التوحد.

ليكن الإحتواء أحد أهم مفرداتنا في الحياة وفي تعاملنا مع أطفالنا ذوي التوحد وأيضاً مع بعضنا البعض.

اسأل اللّه أن يعيننا على تقديم الرعاية الكاملة لأبنائنا وبناتنا من فئة ذوي التوحد.